## الرسالة

(تيطس ٣: ٨–١٥)

يا ولدي تيطُسُ صادقةٌ هي الكلمةُ وإيَّاها أريدُ أن تقرِّرَ حتى يهتمَّ الذين آمنوا باللهِ في القيامِ بالأعمالِ الحسنة. فهذه هي الأعمالُ الحسَنَةُ والنافعة* أمَّا المباحثاتُ الهذَيانيَّةُ والأنسابُ والخصوماتُ والمماحكاتُ الناموسيَّة فاجتَنِبْها. فإنَّها غيرُ نافِعةٍ وباطلةٌ* ورجلُ البدعةِ بعدَ الإنذارِ مرَّةً وأخرى أعرِضْ عنهُ* عالِماً أنَّ مَن هو كذلك قد اعتسَف وهو في الخطيئةِ يقضي بنفسه على نفسه* ومتى أرسلتُ أرتِماسَ أو تيخيكوسَ فبادِرْ أن تأتيَني إلى نيكوبولِسَ لأنّي قد عزمتُ أن أُشتِّيَ هناك* أمَّا زيناسُ معلِّم

## المجمع المسكونيّ السابع

تُجمع الكنيسة المقدّسة الجامعة على الإعتراف بسبعة مجامع مسكونيّة مقدّسة. عُقدت هذه المجامع بين العامين ٣٢٥ و٧٨٧ للميلاد، وهي الفترة التي سبقت الإنشقاق المرير الذي أصاب الكنيسة سنة ١٠٥٤.

المجمع المسكونيّ هو اجتماع الأساقفة من أرجاء المسكونة (العالم) للبحث في الأمور الكنسيّة من قوانين وتنظيماتٍ وعقائد؛ من هنا تأتي كلمة «مسكونيّ». في المقابل، ثمّة مجامع محلّيّة يعقدها المجمع المقدّس لكلّ كنيسة محلّيّة. ليست في الحياة المجمعيّة رئاسةٌ بالمعنى القانونيّ المُتعارف عليه دوليًّا، إنّما يترأّس البطريرك بالمحبّة، أي يكون كالحكم بين الأساقفة المتساوين معه في الدرجة الأسقفيّة.

عُقِدَت المجامع المسكونيّة كلّما دعت الحاجة، وقد سعت إلى حلّ المشاكل والإضطرابات التي كانت تعصف بالكنيسة المقدّسة نتيجة تعاليم وممارسات شاذّة عن الإيمان دُعيت «هرطقات». آخر هذه المجامع كان المجمع النيقاويّ الثاني، المعروف بالمسكونيّ السابع، الذي عُقد عام ٧٨٧. دعت إلى هذا المجمع الإمبراطورة إيريني، كونها كانت آنذاك الوصيّة على ابنها الإمبراطور قسطنطين السادس. حضر هذا المجمع أكثر من ثلاثمئة أسقف، أتوا من أرجاء المسكونة، وبينهم كان ممثّلو أسقف روما، البابا أدريانوس الأوّل. بداية، عُقد المجمع في القسطنطينيّة، عاصمة الإمبراطوريّة، ثمّ انتقل إلى مدينة نيقيا بسبب الإضطرابات التي أحدثها محاربو الأيقونات في العاصمة. السبب الرئيسيّ من الدعوة إلى انعقاد المجمع كان قضيّة الأيقونات التي شهدت سجالاتٍ واسعة في العالم المسيحيّ، بين مؤيّدٍ ومعارض. كانت الإمبراطورة من مؤيّدي إكرام الأيقونات ورفعها لتقديس العالم، فيما كانت موجة محاربة الأيقونات تكاد تسيطر على العاصمة، منتقلةً منها إلى أرجاء الإمبراطوريّة. تذرّع محاربو الأيقونات بأنّ العبادة لا

**العدد ٢٠١٩/٤١**

**الأحد ١٣ تشرين الأول**

**آباء المجمع المسكوني السابع**

**تذكار الشهيد كربُس ورفقته**

**اللحن الثامن**

**إنجيل السَحَر السادس**

تليق بالمادّة، بل بالله فقط، وسعوا إلى تشويه تقليد الكنيسة مظهرين مغالاةً وغيرةً على الإيمان غير صادقتين. نالت موجة المحاربة هذه موافقة عدد كبير من الأساقفة وبعض الأباطرة السابقين، الأمر الذي سمح بانتشارها شيئًا فشيئًا. إستند محاربو الأيقونات إلى العهد القديم قائلين إنّ الله حرَّم، في وصاياه، أيّ رسم له لأنّه لم يُرَ ولا يُرى. أضافوا بأنّ إكرام الأيقونات لا يجوز، لأنّ الناس حينئذٍ سيعبدون المادّة. لكنّ الكنيسة المقدّسة واضحةٌ في تعاليمها، إذ تقول إنّنا نعبد المسيح ونكرّم القدّيسين، وعلى رأسهم والدة الإله، تاليًا نحن لا نكرّم المادة (الخشب، الحجارة، الألوان...) بل مَن تمثّله. لقد أوضح القدّيس يوحنّا الدمشقيّ قائلًا: «لا يمكن رسم الله الذي لا يُدرك، وغير المحدود، أمّا الآن وقد ظهر الله بالجسد، وعاش بين البشر، فأنا أرسم الله الذي تراه العين، ولا أعبد المادّة، بل خالق المادّة الذي استحال مادّةً من أجلي».

عام ٧٨٦، إجتمع الآباء من أقطار العالم، داخل كنيسة الرسل في مدينة القسطنطينيّة. إلّا أنّ أفراد العسكر أجبروا الآباء على التفرّق خشيةً من أن يقوم المجمع بإعادة إكرام الأيقونات المقدّسة إلى أرجاء العاصمة. عندئذٍ، انتقل الآباء عام ٧٨٧، للإجتماع في مدينة نيقيا، وقد ترأّس، بالمحبّة، لا برئاسة زمنيّة، البطريرك طاراسيوس القسطنطينيّ، بحضور ممثّلي البابا أدريانوس الأوّل. في الجلستَين الثالثة والرابعة من هذا المجمع، أقرّ الآباء القدّيسون بوجوب تكريم الأيقونات ورفعها في الكنائس والشوارع والمنازل. قالوا بوجوب «إكرامها بالسجود احترامًا للّذين صُوِّروا عليها، لا عبادةً لهم، لأنّ العبادة إنّما هي واجبة للّه وحده دون غيره». أكّد المجمع المقدّس أنّ هذا الإكرام يتماشى مع تقليد الكنيسة المتناقَل منذ تأسيسها، وقد جاء في القرار: «إنّنا نحافظ على كلّ تقاليد الكنيسة، حتّى يومنا هذا، بلا تغيير أو تبديل. ومن هذه التقاليد، الصور الممثِّلَة للأشخاص... وهو تقليد مفيد من عدّة وجوه، لا سيّما أنّه يُظهر أنّ تجسّد الكلمة إلهنا، هو حقيقة وليس خيالًا أو تصوّرًا. لأنّ الصور، عدا ما فيها من إشارات وإيضاحات، تُحرّك المشاعر الشريفة».

الجدير ذكره أنّ هذا المجمع المسكونيّ ارتكز، في مقرّراته، على تعليم القدّيس يوحنّا الدمشقيّ، الذي تفتخر به كنيستنا الأنطاكيّة المقدّسة، وبما قدّمه من خُطَبٍ وتعاليم دفاعًا عن الأيقونات وعن التقليد الشريف. لقد سار القدّيس يوحنّا على خطى الآباء القدّيسين، مشدّدًا على أنّ الإكرام ليس للمادّة، بل هو إكرامٌ يجوز إلى العنصر الأوّل، أي مَن تُمَثِّلُهُ المادّة من القدّيسين. إنّه إكرام نقدّمه لله وقدّيسيه الذين، وإن فارقونا بالجسد، لكنّهم لا يزالون في شركةٍ معنا من خلال جسد المسيح.

إنّ كنيستنا المقدّسة مدينةٌ لهذا المجمع المسكونيّ السابع المقدّس، كما للقدّيس يوحنّا الدمشقيّ، بإظهار أهمّيّة الأيقونات ووجوب إكرامها. إكرام الأيقونات خبرةٌ روحيّةٌ أعطت الكنيسةَ دفقَ نِعَمٍ إلهيّة، فأمست الأيقونات مصدرَ معجزاتٍ تَرجمت القداسةَ في حياة المؤمنين. نحن مدعوّون دومًا إلى الناموسِ وأبُلُّوسُ فاجتهِد في تشييعهما متأهِّبَين لئلَّا يُعوزهما شيءٌ* وليتعلَّم ذوونا أن يقوموا بالأعمالِ الصالِحةِ للحاجاتِ الضروريَّة حتى لا يكونوا غيرَ مثمرين* يسلِّمُ عليكَ جميعُ الذينَ معي* سلِّم على الذين يُحبُّوننا في الإيمان. النعمةُ معكم أجمعين. آمين

## الإنجيل

(متى ٥: ١٤–١٩)

قال الربُّ لتلاميذهِ أنتم نورُ العالم. لا يمكن أن تَخفى مدينةٌ واقعةٌ على جبلٍ* ولا يُوقَد سِراجٌ ويوضَعُ تحت المكيال لكن على المنارة ليُضيءَ لجميع الذين في البيت* هكذا فليُضئ نورُكم قدَّام الناس ليرَوا أعمالكم الصالحةَ ويُمجّدوا أباكم الذي في السموات* لا تَظنُّوا أنّي أتيتُ لأحُلَّ الناموسَ والأنبياءَ، إنّي لم آتِ

لأحُلّ لكن لأُتمم* الحقَّ أقول لكم إنّه إلى أن تزولَ السماءُ والأرضُ لا يزولُ حرفٌ واحدٌ أو نُقطةٌ واحدةٌ من الناموس حتى يتمَّ الكلُّ* فكلُّ مَن يُحلُّ واحدةً من هذه الوصايا الصغار ويُعلِّمُ الناس هكذا، فإنَّه يُدعى صغيراً في ملكوتِ السموات. وأمَّا الذي يعمَلُ ويُعلّم فهذا يُدعى عظيماً في ملكوت السموات.

## تأمل

اللَّعنَةُ على النَّمّامِ والمُخادِعِ، فَكَم يَصدِمُ حياةَ المُتَوافِقين. النَّمّامُ يُنَغِّصُ حَياةَ كَثيرين، ومِن بَلَدٍ إلى آخرَ يُشَرِّدُهُم. يُدَمِّرُ المُدُنَ العَظيمَةَ ويَقلِبُ بُيوتَ العُظَماء. النَّمّامُ يَفصِلُ المرأَةَ عَن زَوجِها، ويَحرِمُها مِن جَميعِ أَتعابِها. مَن يُصغي إلى النَّميمَةِ لا يَجِدُ راحَةً، ولا يَعيش بِسَلامٍ مِن بَعد. ضَرْبَةُ السَّوطِ تُؤَثِّرُ في الجِسمِ، التمسّك بتقليد كنيستنا المقدّسة وما تسلّمناه من الآباء القدّيسين. لذلك، نحتفل كلَّ سنةٍ، في الأحد الأوّل من الصوم الأربعينيّ المقدّس بأحد الأرثوذكسيّة، مقيمين تذكار انتصار الأيقونة وساعين إلى أن نكون نحن أنفسنا أيقونات حيّة تنقل نور المسيح إلى الجميع.

## القديس لوقا البشير

في الثامن عشر من تشرين الأول، تحتفل كنيستنا المقدَّسة بتذكار القديس لوقا البشير، كاتب الإنجيل الثالث وسِفر أعمال الرُسُل، وهو أحد التلميذَين اللذين التقيا بالرب يسوع على طريق عمواس، بعد قيامته (لو٢٤: ١٣–٣٢). القديس لوقا كان أيضاً أقرب المعاونين للقديس بولس الرسول في رحلاته التبشيرية وقد رافقه إلى ترواس ومنها إلى فيليبي، ومن فيليبي إلى أورشليم ثم من قيصرية إلى روما وقد لازمه طيلة فترة اعتقاله. سمّاه القديس بولس «الطبيب الحبيب» (كو ٤: ١٤)، «الرفيق الوحيد» (٢ تيم ١١: ٤) وأحد معاونيه في التبشير (فيليمون ٢٤).

لن نخوض في سيرة القدّيس لوقا إذ هي موجودة مفصَّلة في السنكسار. لكننا سنستلهم من سيرته ومسيرته أمرين يُحتذى بهما قدوة ومثالاً لحياتنا مع المسيح. نبدأ من ما يختص بعلاقة القديس لوقا بالرسول القديس بولس. طبيعي، بحسب المنطق البشري وحكمة هذا العالم، أن يضع المرء نفسه في خدمة ذوي المكانة والجاه، حتى لو كان في هذه الخدمة تعب وضيق. في المنطق البشري من يَخدُم يُكافأ، وكلّما ازداد التعب في الخدمة ازدادت المكافأة. أما أن يحتمل المرء التعب والشدائد والضيقات، متفانياً، في خدمة إنسان لا مكانة له ولا جاه بل مُلاحَق ومُضطَّهد (كما كانت حال الرسول بولس آنذاك)، وملازمته في أشدّ الضيقات حتى الاعتقال والسجن (كما فعل القديس لوقا)، فهذا يفوق إدراك المنطق البشري (الساقط بسقوط الإنسان) وينافيه. لكنّه، في الوقت عينه، يُظهِّر بأجلى بيان عظمة المحبة الحقيقية، المجرّدة من الأنانية، المحبة التي تبذل ولا تطلب شيئاً، وهي التي عبَّر عنها الرسول بولس في الإصحاح ١٣ من رسالته الأولى إلى الكورنثيين. هذه المحبّة المُجَرَّدة هي التي حكمت فكر القديس لوقا و«عقلانيته» في خياراته. القديس لوقا حرّر عقله من أنانية المنطق البشري (المريض بفعل السقوط)، فصارت قراراته، في مرافقة الرسول بولس حتى في أصعب ظروفها، كلّياً خارج معادلة الأخذ مقابل العطاء. هنا لا بدّ لنا من الانتباه كم تتحكّم هذه المعادلة بخياراتنا وقراراتنا، وكم صرنا بعيدين عن المحبّة المجرَّدة التي أوصانا بها الرب يسوع المسيح، بالتعليم وبالمثال، والتي تكلّم عنها الرسول بولس، كما أشرنا أعلاه. أما الأسوأ فهو أننا نتحجّج ببحر من التبريرات، الآتية كلّها من المنطق البشري الذي يبدو في الشكل سليماً، وهو في الحقيقة ساقط ومضلّ. المحبة الحقيقية ليست مشاعر وأحاسيس، بل تضحية وصليب. هذه هي الأمثولة لنا، في ما عاشه الإنجيلي لوقا مع الرسول بولس.

أما الأمثولة الثانية فنجدها في حادثة التقاء التلميذين، على طريق عمواس، بالمسيح القائم من الموت. ففي الإصحاح الأخير من إنجيله يروي القديس لوقا كيف كان التلميذان يتحادثان بحزن في الطريق عما جرى في أورشليم، وكيف انضمّ إليهما الربّ القائم ولم يعرفاه، وكيف صار يشرح لهما كل ما ورد عن آلامه وقيامته في الشريعة والأنبياء، وكيف التهب قلباهما وهما يصغيان إليه. لكنّهما لم يعرفاه إلا عندما «أخذ خبزاً وبارَك وكَسَر وناولهما» (الآية ٣٠)، أي عندما أتمّ المسيح السرّ الإفخارستي إذ حوّل الخبز إلى جسده وناولهما إياه طعاماً. لقد شاء الرب أن يعرفاه، أو بالأحرى أن يجعل ذاته معروفاً منهما، في لحظة الإفخارستيا بالذات لكي يفهما، ونفهم نحن عبرهما أنّه بواسطة الإفخارستيا يحقّق المسيح حضوره الدائم في العالم. لأجل هذا لم يحزنا عندما اختفى عنهما، بل على العكس التهب قلباهما فرحاً بدليل أنهما «قاما في تلك الساعة ورجعا إلى أورشليم»، «وكانا يخبران بما حدث في الطريق، وكيف عرفاه عند كسر الخبز» (الآيتان ٣٣ و٣٥).

في بداية اللقاء أصغى التلميذان إلى الكلمة الإلهية إذ سار بهما الرب يسوع المسيح إلى أعماق معانيها، فالتهب قلباهما. والمقصود هنا بالتهاب القلب ليس التأثّر العاطفي أو تحرّك المشاعر بل التفاعل بكامل الكيان مع الكلمة. الأسفار الإلهية هنا لم تعد مجرّد نصوص يُتباحَث بها عقلانياً بل طعاماً روحياً يغذي ويشفي ويهيّئ لانفتاح الأعين على معرفة المسيح. ونكرّر أنّ المعرفة المقصودة ليست فهماً فكرياً بل إدراك كياني ومعاينة للمسيح الرب وجهاً لوجه. عندئذ رأى الرب أن التلميذين صارا جاهزَين فكشف لهما ذاته إذ قدم لهما جسده طعاماً للحياة.

ما حدث على طريق عمواس يتكرر، هو نفسه، في كل قدّاس إلهي. الكلمة الإلهية أولاً، من خلال قراءة الرسالة ثم الإنجيل وشرحهما. قبلهما يصلّي الكاهن إلى الرب أن يُشرِق في قلوبنا نور معرفته الإلهية وأن يفتح أعيُن ذهننا لفهم تعاليم إنجيله لكي نغلب أرضيّتنا بالشوق إلى فهم وصاياه والعمل بها. هذا هو تماماً المعنى التفصيلي لالتهاب القلب. أحد أكبر لاهوتيينا المعاصرين، الأب المغبوط ألكسندر شميمن، يسمّي هذه المرحلة «ليتورجيا الكلمة» وكأنّه يراها تدبيراً إلهياً قائماً بحد ذاته إذ هو المُهيِّئ لمعرفة المسيح. التهاب القلب بالكلمة الإلهية وتناوُل الخبز السماوي مرتبطان ارتباطاً لا لُبس فيه ولا مساومة. هذا ما يعلّمنا إياه القديس لوقا البشير، من خلال حادثة طريق عمواس التي وحده بين الإنجيليين يرويها. كذلك الأمر بالنسبة للارتباط بين معرفة المسيح «عند كسر الخبز» والانطلاق «من تلك الساعة» إلى البشارة به، طبعاً كلّ في موقعه ومحيطه وبحسب طاقته. من عرف المسيح لا يستطيع أن «يحتفظ به» لذاته. «لا تطفئوا الروح»، يقول القديس بولس الرسول.

وضَربَةُ اللِّسانِ تُحَطِّمُ العِظام. كَثيرونَ سَقَطوا بِحَدِّ السَّيفِ، وأَكْثَرُ مِنهُم بِحَدِّ اللِّسان. فَهَنيئًا لِمَنِ اتَّقى شَرَّهُ، ولَم يَتَعَرَّضْ لِغَضَبِه. هَنيئًا لِمَنْ لَم يَحْمِلْ نِيَرهُ، ولَمْ يَتَقَيَّدْ بِسَلاسِلِه. فَنِيرُهُ مِنْ حَديدٍ، وسَلاسِلُهُ مِنْ نُحاس. المَوْتُ بِحَدِّ اللِّسانِ فَظيعٌ، حَتّى إنَّ القَبْرَ أَفْضَلُ مِنْهُ، لَكِنَّهُ لا يَقْوى على الأَتْقِياءِ، ولا هُمْ يَحْتَرِقونَ بِلَهيبِه. بَلِ الذينَ يَتْرُكونَ الرَّبَّ يَقَعونَ فيه، فَيَشتَعِلُ فيهِم ولا يَنطَفِئ. يَنْقَضُّ عَلَيْهِم كَالأَسَدِ ويَفْتَرِسُهُم كَالنَّمِر. كَما تُسَيِّجُ مِلْكَكَ بِالشَّوْكِ، وتُغْلِقُ على فِضَّتِكَ وذَهَبِكَ، كَذَلِكَ زِنْ كَلامَكَ بِالميزانِ وضَعْ مِزْلاجًا (قِفلًا) لِبابِ فَمِكَ، وكُنْ حَذِرًا لِئَلَّا تَزِلَّ بِلِسانِكَ، وتَقَعَ فَريسَةً لِلكامِنينَ لَك.

يشوع بن سيراخ
(٢٨: ٢٦-١٣)